



الشهيدة عدجو موح "تيلمشيت"
من مقاومة الاستعمار إلى تنكر الوطن

للاصفية العمراني*

تقـديـــــم:

تندرج هذه المداخلة ضمن أعمال هذه الندوة، والتي اختارت لها اللجنة المنظمة مشكورة عنوان "نساء وقضية". ونتوخى من ورائها إعادة الاعتبار لإحدى المقاومات الفذة و الباسلة و التي استشهدت في معارك جبل بوكافر، من جهة، ومن جهة ثانية محاولة منا للتذكير بجوانب من المقاومة المسلحة المغربية و تجاوز ما بات يسمى "بثقافة النسيان" L'oubli، سواء الفردية منها أو الجماعية. هذه الثقافة التي عملت، بل وأصرت جهات و مؤسسات على تكريسها و ترسيخها...باختزال تاريخ المقاومة المسلحة المغربية في أشخاص منحوا لأنفسهم صفة قادة الحركة الوطنية، الذين انزلوا أنفسهم مترلة الورثة الشرعيين لغنائم حرب لم يخضها عدد منهم. و بعد الاستقلال بنوا أمجادهم على الأقوال و البلاغة و الخطاب. و دونوا عن أنفسهم سيرا بطولية عن الأسر و النفي. وقد كان أقوى سلاحهم في ذلك هو العمل على نشر ثقافة النسيان: نسيان دور المقاومين والمقاومات الحقيقيين والفعليين، الذين حملوا السلاح للدفاع عن الوطن و تراثه و ثرواته. لقد تم "نسيان" حق أوطان المقاومين و المجاهدين في الاستفادة من التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وكرست فيها دولة المغرب المستقل سياسة "المغرب غير النافع..."[1]

* أستاذة باحثة -كلية الآداب مراكش-

[1]- الاستفادة الوحيدة التي حصلت عليها المناطق التي حمل أهلها السلاح ضد الاستعمار الفرنسي 1912-1934 سواء في جنوب الأطلس الكبير الأوسط وفي صاغرو وهي المنشآت السجنية خلال سنوات الرصاص: سجن تازرين وهي المنطقة التي تنحدر منها أسرة المقاومة عدجو- موح، وسجن قلعة امكونة - وسجن اغبالون- كردوس – وسجن تزمامرت واللائحة طويلة)

وإلى جانب الموضوعية العلمية التي يجب أن تطبع كل عمل أكاديمي، فعلى البحث التاريخي كذلك واجب إعادة الاعتبار لآلاف المقاومين المعلومين والمجهولين، الذين قاوموا و جاهدوا واستشهدوا في ساحات المعارك، ونسي التاريخ أسماءهم و لم تجد لها طريقا إلى الثقافة العامة و إلى الذاكرة الجماعية. حيث لا تذكر منها إلا أسماء بعض قادتهم البارزين (موحى أوحمو، أحنصال، الخطابي باسلام، الزرقطوني....) ومن ضمن المنسيين المقاومة الشهيدة عدجو موح تلمشيت، والتي ينطبق عليها فعلا عنوان هذا اليوم الدراسي لأن قصتها الخاصة تدخل ضمن نموذج "امرأة وقضية"، عسى أن نصل إلى إعادة الاعتبار لها، وعبرها، لكثير ممن ضحوا من أجل هذا الوطن، بالاعتراف بعملهم ونفض غبار النسيان عن دورهم البطولي. فالتاريخ هو ذاكرة الأمم و الشعوب، و هو مجال تتأسس حوله الذاكرة الجماعية التي تحدد الانتماء.

فالمغاربة مثلهم كمثل جميع الشعوب يقدرون كامل التقدير أولئك الذين ساهموا في صناعة تاريخهم وأمجادهم وبناء مستقبلهم، ومن ثم فهم يقاومون ثقافة النسيان و الإقصاء، التي أراد البعض أن يختزل عبرها ذاكرة شعب بأكمله، ويستفرد بموقع الصدارة و الريادة و السيادة، وذلك بتنميط الوقائع و بتوجيه الأحداث إلى الوجهة التي تكفل له الاحتفاظ بامتيازات والحصول على المزيد منها، متجاهلا الحكمة القائلة، "بأنك تستطيع أن تخدع بعض الناس بعض الوقت، ولكن لا يمكن أن تخدع كل الناس كل الوقت".[2]

من هي المقاومة ـ الشهيدة عدجوموح تلمشيت ؟

اعتمدنا في محاولة كتابة سيرة هذه المقاومة على ثلاثة مصادر. وهذه المصادر الثلاثة هي في ذات الوقت متكاملة ومتناقضة، المصدر الأول هو ما كتبه Sources

[2]- الإدريسي (علي): في مقاومة ثقافة النسيان: محمد بن عبد الكريم الخطابي نموذجا، اضمن أعمال " ندوة المقاومة المغربية عبر التاريخ أو مغرب المقاومات، لجزء الأول – الرباط، 2005 . 3. 222.

الضباط الفرنسيون أثناء وقوع أحداث معركة بوكافر3 (التي استشهدت فيها المقاومة عدجو موح)، ما بين 1929 يناير إلى 26 مارس 1933 أو بعدها، وهي مصادر لا يمكننا الاستغناء عنها في أي مشروع يهدف كتابة تاريخ المقاومة المسلحة المغربية بوجه عام، ومقاومة سكان الأطاليس بوجه خاص. ذلك أن الباحث في تاريخ المقاومة المسلحة 1912- 1934 تستوقفه إشكالية ترتبط بالمرجعيات المعرفية وبالنقص الذي يعتري اسطوغرافيا هذه المرحلة، خاصة إذا علمنا أن المنطقة التي تعرضت أكثر من غيرها للعزل المطبق والحصار الطويل هي منطقة الأطلس المتوسط وشرقي الأطلس الكبير. إلا أن" المؤرخين المغاربة المعاصرين لم يهتموا الاهتمام اللازم بالحرب الاستعمارية الطويلة التي ظلت فيها جيوش الاحتلال وجها لوجه ضد القبائل الأطلسية لمدة هي نصف زمن الحماية كلها (الحماية 1912-1956، حروب الأطلس: 1912- 1934)4. عكس الضباط الفرنسيين الذين أطروا وشاركوا في تلك الحروب، فلم يبرهنوا عن مثل هذا التقصير والإهمال، فما أكثر ما كتبوا.. فإلى جانب التقارير الرسمية العسكرية والسياسية والإستخباراتية، هناك المذكرات الشخصية،هناك الجلسات البرلمانية، هناك المراسلات الصحفية ...إلخ. يضاف إلى كل هذه المصادر الأولية دراسات وتحاليل أنجزها بعض الباحثين إما بدافع سياسي أو بدافع علمي. "ومن الوفاء القول إن المغاربة حاولوا أن يكتبوا عن مراحل المقاومة المسلحة من قبيل اليوميات (عبد الله الصنهاجي، مولاي هاشم العلوي و المعزوزي...)، من قبيل المذكرات وتدوين جميع المعلومات وتوثيقها. لكن أهل صاغرو صناع الأحداث التي تهمنا هنا كمجاهدين، فقد اعتمدوا على ذاكرتهم في حفظها وعلى وجدانهم لوشمها، فكان من الطبيعي أن ينحى عليها النسيان بظلاله. وعندما يموت الشهود

---

[3] - Maurice (Bernard colonel.) - La pacification du Maroc: 1907-1937, Plon,1945.- Herbel (Louis) La pacification du Djebel Saghro, 1933.

[4]- شفيق (محمد): الشعر الأمازيغي والمقاومة في الأطلس المتوسط وشرقي الأطلس الكبير (1912-1934) مجلة الأكاديمية ، عدد 1986، ص 70.

العيان. و يهرم الآخرون، فتذهب الشيخوخة بقوة ذاكراتهم وصفاء عقولهم، بحيث أننا إذا اعتمدنا عليهم وحدهم، كمصدر في كتابة تلك الصفحة المليئة بالنضال والجهاد والاستشهاد لما ظفرنا إلا بمادة ضئيلة وناقصة"[5]. فهذه الحقيقة التاريخية التي نص عليها أستاذنا المرحوم محمد زنيبر، تنطبق على المصدرين الآخرين اللذين اعتمدنا هما في كتابة سيرة المقاومة عدجو موح. فهما محليان ويتمثلان في الرواية الشفوية والمتون الشعرية .

1-الرواية الشفوية

إن مجال الوقائع التي تعنينا هنا و هي البادية المغربية الأمازيغية هو مجال الرواية الشفوية بامتياز. كما أن الزمن هو الزمن التاريخي الذي كانت فيه أغلب القبائل في البوادي (جنوب الأطلس) تستورد أئمة المساجد من سوس أو من إحدى الزوايا القريبة. ويمكن القول إن تجاهل الرواية الشفوية يعني ترك هذه المناطق بدون تاريخ مكتوب. و لذا حاولنا جمع أقوال مقاومي بوكافر من باب المصدر المحلي والقريب من الأحداث.

وبالنسبة للرواية الشفوية التي تمكنا من جمعها عن هذه المقاومة، فهي أقوال و ذكريات شيوخ متقدمين في السن، شاركوا في المعارك وعاصروا الأحداث و الوقائع يوما بيوم، و لم يسألهم أحد إلا في خريف أعمارهم (80 سنة فما فوق) [6] فإلى جانب تراجع ذاكرتهم، فإن الإحساس بعدم الإنصاف، والإهمال والنسيان ونكران

[5]– زنيبر (محمد): نصان عن مقاومة الدار البيضاء والشاوية في سنة 1907، ندوة المقاومة المسلحة المغربية 1900-1934 بتنسيق مع شعبة التاريخ – كلية الاداب- مراكش، والمندوبية السامية لقدماء المقاومين التحرير، أيام 28-29-30 نونبر 1990-مطبعة المعارف الجديدة .الرباط، 1113، ص 53.

[6]– كنوي (احمد): المقاومة المسلحة من خلال الشعر الامازيغي، تازرين نايت عطا نموذجا، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، تحت إشراف الأستاذة للا صفية لعمراني –شعبة التاريخ–كلية الآداب مراكش، السنة الجامعية 2000-2001. وقد نال هذا البحث الجائزة الأولى التي كانت تخصصها المندوبية لسامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، للبحوث المتميزة في مجال المقاومة المسلحة.

الجميل، الذي طال مناطقهم بعد استقلال الوطن، دفع بهم إلى الانزواء مستشهدين بالقولة الأمازيغية المأثورة:

1 - أوال إيزرين إبيعيب أت سول إيتيين يان

1 - الكلام الذي مضى يشين على المرء ذكره

والمضمون الحقيقي:" لا داعي لاسترجاع أحزان ومآسي الماضي".

إن تحفظ هؤلاء و نظرتهم الصوفية إلى الوقائع يتطلب من الباحث المستجوب صبرا وطول نفس حتى يستأنسوا به ويدخل في حميميتهم، ونظرا لنبل الهدف المتمثل في كتابة تاريخ المقاومة المسلحة المغربية من أفواه رجالها و نسائها، فقد تمكنا نسبيا، من تخطي هذه العقبات النفسية والمادية، وسجلنا ودونا و قمنا بتعريب النزر القليل من هاته الروايات[7] ثم قابلناها بمصادر أخرى مكتوبة. – المصادر الأجنبية – بغية الوصول إلى كتابة تاريخ المقاومة المسلحة بالجنوب المغربي بمنهجية علمية وصفية descriptive، تقابلية comparative وتحليلية analytique،حتى يجد تاريخ هذه المقاومة طريقه الموضوعي إلى الكتب التاريخية والى المقررات الدراسية وإلى الذاكرة الوطنية.

بناء على المقارنة بمن بقي من جيلها من الأحياء قد تكون عدجو موح تلمشيت من مواليد أواخر القرن التاسع عشر، ذلك أن الرواية الشفوية التي نتوفر عليها تعطينا مؤشرين اثنين: إذ أرجعت ولادتها إلى ما بعد وفاة السلطان الحسن الأول، وهذه عادة معروفة لدى المغاربة حيث كانوا يؤرخون حسب القبلي أو البعدي بالنسبة للأحداث الكبرى، ومعلوم أن السلطان الحسن الأول توفي وهو راجع من رحلته من تافيلالت في اتجاه مراكش 1894. أما عن تاريخ استشهادها، فيمكن

[7] - فقد عملنا منذ التحاقنا بشعبة التاريخ 1983، على جمع هاته الروايات والشهادات الشفوية والأشعار، في إطار بحوث الإجازة مـــع مجموعات من طلبتنا لمنحدرين من مناطق صاغرو –بوكافر تودغة– دادس ورزازات كمشروع شامل نتوخى من خلاله إيجـــاد مـــادة تاريخية مغربية تعطينا وجهة نظر أخرى أثناء مناقشة الإيسطوغرافيا الاستعمارية حول المقاومة المسلحة بالجنوب المغربي، فهذا العمل كان من المفروض والواجب القيام به منذ فجر الاستقلال حيث لا تزال ذاكرة المقاومين والمقاومات أو من عايشوا الأحداث عن قرب حاملة ومسجلة لكل تفاصيل ودقائق الأحداث والمعارك كما عايشوها، لكن هذا لم يحدث للأسف.

حصره ما بين 12 فبراير، وفاتح مارس سنة 1933، وهي الفترة التي توافق المرحلة الثانية من المواجهات بين مقاومي جبل بوكافر، والقوات الفرنسية[8] والتي استعملت فيها جميع الأسلحة الحربية الثقيلة، الجوية منها والبرية[9]، وتكبدت فيها الجيوش الاستعمارية خسائر بشرية جسيمة فاقت عشرة من كبار الضباط الذين خططوا وأطروا تلك المعركة، كما أورد ذلك العقيد جورج سبيلمان وعلى رأسهم هنري دو بورنازيل Henri de Bournazel و عدد كبير من الضباط و القناصة السينغاليين وفيالق الأهالي التي عبأها الباشا الكلاوي، و التي كانت تحت إمرة الملازم لو شوفاليي Le Chevalier ومرافقه بوادفان Poidevin.

فحسب الرواية الشفوية، التي تمكنا من تسجيلها من أفواه عدد من المسنين الذين عايشوا تلك الأحداث والذين وصلتهم أصداؤها، ومن ضمنهم ابن المقاومة عدجو موح، أحماد أولحسن نايت موح، والذي كان عمره لحظة استجوابه، يناهز 75 سنة فإن أمه استشهدت في نفس المعركة التي قتل فيها بورنازيل أي في 28 فبراير 1933[10]، وأن أصلهم من فرع ايلمشان، وهم شبه رحل، ينتجعون ما بين نجود تازرين وجبل بوكافر بصاغرو. و بناء على ذلك فإن عمرها حين إستشهادها، حوالي أربعين سنة.(1894 -1933)، و هي زوجة و أم. مما جعلها بطلة واعية بالمسؤولية الأسرية و بمخاطر الحرب. و هو ما أعطى صبغة خاصة لدورها و صدقا

[8]- انظر: العمراني (للاصفية)، شاعرات المقاومة المسلحة في الجنوب المغربي، ندوة " دور المرأة المغربية في ملحمة الاستقلال والوحـــدة والتي نظمت بتعاون بين المندوبة السامية لقدماء المقاومين، وأعضاء جيش التحرير – وشعبة التاريخ – كلية الآداب – القنيطـــرة 6-7 مارس 2001، منشورات عكاظ 2001-2002.

[9] - Spillman(G) Les Ait Atta du Sahara et la pacification du haut Draa. 1936. p188.

[10]- فالمكان الذي وقعت فيه هذه المعركة لازال يحمل بصمات تلك الحرب الضروس، والغير المتكافئة بـــين القـــوات الفرنســـية والمقاومين العطاويين والعطاويات والتي وصفها لنا الكولونيل SOULA في هذا النص" ففي بومالن حيث مركز القيادة العليا للجنـــرال هوري، كان الجميع مقتنعا بأن سلسلة الهزائم التي منيت بها جيوشنا إن دلت على شيء، فإنما تدل على عزم "أيت عطا" الاســـتمرار في الحرب بكل قوة واستماتة وبسبب عدوانيتهم فإننا نتساءل إن لم تكن نيتهم هي القيام بهجوم مضاد لضرب خطوطنا وتجاوزها، ولهذا، فقد أصدر الأمر لمتابعة الهجوم بكل ضراوة، وبسرعة فائقة وذلك رغم أن هذا الهجوم المدعم بالقصف المدفعي والجـــوي، ســـيؤدي إلى ارتفاع الخسائر ليس فقط بين المقاتلين العطاويين والماشية، وإنما أيضا في صفوف النساء والأطفال".

في شعر الذين رثوها من بعد، لتكون بمثابة رمز نسوي لمقاومة أيت عطا بجبل صاغرو.

أما المصدر الثالث والأخير، الذي اعتمدنا عليه في محاولة كتابة سيرة المقاومة عدجوموح تلمشيت فيتمثل في المتون الشعرية، ذلك أن موضوع "رثاء" المقاومين والمقاومات كان قد شكل موضوعا قائما بذاته، مثله في ذلك مثل "الهجاء[11] و"المدح" فكما سبقت الإشارة إلى ذلك، فالباحث في تاريخ المقاومة المسلحة المغربية بوجه عام، ومقاومة سكان الأطالس بوجه خاص، تستوقفه إشكالية لها علاقة بالمرجعيات المعرفية، "فنحن نعلم أن جيل المقاومين في الثلاثينيات، الذين أبلوا البلاء الحسن في تلك المواجهة أو عاصروها على الأقل، قد انقرض أو كاد، ويخشى أن يكون الأوان قد فات على من يريد أن يستشهد بما علق بأذهانهم من روايات للأحداث في تسلسلها وتفاعل بعضها مع البعض الآخر، ومن حسن الحظ أن بعض أصداء هذه المواجهات والمعارك ظلت متجاوبة في الشعر الأمازيغي أو على الأقل في ما لا يزال يروى منه، وما قدر له أن يكتب مع أن الشعر الأمازيغي لم يكتب منه و لم يحفظ إلا الشيء القليل.[12]

2- النصوص الشعرية

تجدر الإشارة هنا، أن النصوص الشعرية التي سنوردها، والتي نتوخى من خلالها، استجلاء صورة المقاومة عدجو موح والدور البطولي الذي لعبته أثناء معركة بوكافر، لا تتضمن "الرثاء والمدح" بمفهومهما المتداول، بقدر ما هي نصوص تعبر عن الأسى والأسف لما آلت إليه أوضاع ساكنة المناطق التي حمل أهلها السلاح،

---

[11]- انظر: العمراني (للاصفية): الهجاء في الشعر الأمازيغي حول المقاومة المسلحة بالجنوب المغربي (جنوب الأطلس الكبير الأوسط)، في إطار أعمال ندوة"المقاومة المعربية عبر التاريخ أو مغرب المقاومات، الجزء الأول، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، االرباط، 2005.

[12]- شفيق (محمد)، ن . م .س. ص.73

وفقدوا شهداء وشهيدات من طينة عدجو موح[13]. فجل القصائد التي تمكنا من جمعها وتدوينها عن هذه المقاومة، تضاهي في دقة معانيها التقارير الموجودة في أرشيف الضباط الفرنسيين الذين أطروا تلك المعركة و دونوا أخبارها.

فمن قصائد الشاعر "أنضام" المرحوم يشو أوحميد من قرية أيت مسعود بوادي تازرين[14]، اخترنا هذا النموذج الأول الذي يكشف لنا عن شخصية المقاومة عدجو موح، التي سقطت شهيدة بين مئات المقاتلين: ويطلب من الله أن يشملها برحمته، وينزل اللعنات على الذين "استسلموا" وتهاونوا، وأصبحوا في خانة عملاء الاستعمار وأعوانه من الخونة، وأن النبي بريء منهم، بعد أن أصبحوا من أتباع الضباط الفرنسيين DUPLEIX et PAULAIN.

1- أماس ن ميا أك تموت أعدجو موح

1- وسط مائة استشهدت ياعدجو موح

2- أكم إيرحم ربي ،أدام نادر ءاكدجو ناو

2- رحمة الله عليك، سندفنك يا أختاه !

3- أيمصوبرن وراون ياد إيكي أنبي ءامور.

3- أيها المحميون، أخرجتم من أمة النبي

4- إيدا نبي تاويرى أ نس إيمان د إيمزوورا.

4- ذهب النبي لحال سبيله مع الأوائل.

[13]-كانت المجموعة التي نزلت من بوكافر بعد اتفاقية 30 مارس 1933، بين الجنرال HURE وعسو أوباسلام، حسب ما ورد في تقرير عند HURE تقدر ب 2949 نفر من ضمنهم 465 مقاوم، في حين تقدر مصادر أخرى عدد المحاصرين ب 7000 شخص تقريبا من ضمنهم 1200 مقاتل، وقد استشهد ما يفوق 700 مقاوم ومقاومة وأكثر من 4000 من الشيوخ والأطفال. وقد ورد عند العقيد Mathier في كتابه " حياة بجيدة "Une Vie exaltante" ما يلي "لم يبق لدى أيت يعزى إلا رجل واحد من ثلاثين كانونا، وشابين من 2-16 سنة، ومن ءايكنيون، أربعة رجال من بينهم شيخان اثنان من 42 كانونا، ومن أيت عيسى أوبراهيم، جماعة ايت الفرسي، قتل ثلث نسائهم ببوكافر. وقد فقد عسو اوبسلام أربعة أفراد من أسرته، أخوه إبراهيم أوبسلام، وزوجته من أيت ايسفول، وإحدى بناته التي لم يتجاوز عمرها 13 سنة، أحد أبنائه من زوجته الثالثة.

[14]-كنوي (أحمد) ، ن. م. س.

5- انقيمد دي يمكورا أد دوبليس د بولان.

5- و بقيت مع الأواخر، مع دوبليس و بولان.

فهذه الأبيات الشعرية تزكي ما تمت الإشارة إليه سابقا، من أن "الرثاء" في شعر المقاومة المسلحة لم يكن يعبر فقط عن التمجيد والإكبار، بقدر ما هو وصف للأوضاع التي أصبحت عليها مناطقهم بعد "الهدنة" وكيف أن الشاعر يوظف الجانب الديني، في نقده للزعامات المحلية: فمعظم القصائد التي تمكنا من جمعها [15]، تدخل في خانة هذا النمط الشعري الذي يمزج فيه "أنضام" أو "أمدياز" [16] في نص واحد، وأحيانا في بيت شعري واحد، بين الهجاء والرثاء والوصف. بل نجد كذلك أن هؤلاء يقحمون، حين صياغتهم لأشعارهم و يدرجون أسماء الضباط الفرنسيين الذين أطروا أو قتلوا في المعركة أمثال Aubert, Chardon, Paulin, Piné، ونجد عند أنضام" يشو أوحميد، يورد أسماء الضابطين الفرنسيين DUPLEIX et POULAIN.

نقيمد دي إيمكورا أد دوبليس أد يولان

فهذه الأبيات الشعرية، التي وصلت إلينا بفضل قوتها وصدقها، مما أكسبها مصداقية، وقوة إبرائية Applicative، تنقلها من خانة الشعر الفني إلى الشعر من أجل التذكير والتدوين والتوثيق. "فالظروف التي سادت إثر الاستسلام"، لم تكن ظروف مواساة وتعازي، بل كانت بحكم الضرورة ظروف طغيان النزعة الفردية، ونسيان المصلحة العامة، فانكسرت النفوس، ويئست القلوب، وحبذا لو أن أدبنا المغربي العربي دون لبطولات سكان الأطلس بعض مفاخرهم، ولكن لسبب من الأسباب الموضوعية يتعذر شرحها في سطور أو حتى في صفحات لم يسجل لحروب الأطلس نبأ لا في شعر ولا في نثر ذي نفس، ومن حسن الحظ أن بعض أصدائها ظلت حية

---

[15]- شاكر (حنان)، المقاومة من خلال الشعر الأمازيغي، حوض دادس نموذجا" بحث لنيل الإجازة في التاريخ: تحت إشراف: الأستاذة للاصفية العمراني، شعبة التاريخ، كلية الآداب – مراكش– السنة الجامعية 1999-2000.

[16]- انظر: جوراس (عبد القادر)،" تامديازت" معلمة تاريخ المغرب، الجزء السادس ، ص : 2176-2172.

متجاوبة في الشعر الأمازيغي، أو على الأقل، في ما لا يزال يروى منه وما قدر له أن يكتب. مع أن الشعر الأمازيغي لم يكتب منه و لم يحفظ إلا الشيء القليل". [17]

وهذا اليأس والإحباط، الذي أحس به أيت عطا بكل أحماسهم[18]، هو ما عبر عنه "أنضام" سيدي بادا أو مسعود[19] في هذه القصيدة التي نوه فيها بشجاعة المقاومة عدجو موح، وكيف أن أفراح ومسرات عشيرتها قد اختفت وأقبرت معها منذ استشهادها. هي التي حملت السلاح و واجهت وقاتلت " السينغاليين[20] بمعية شباب أشاوس رفضوا الخضوع والاستسلام، وأنه باستشهادها أصبح المقاومون "كيد بدون إبهام".

أتين بوكافر أكم ن قيس لمد ءاوال.
ءاتين بوكافر ريغ ءاكم نعاود.
والله ء الفرح ءامك ياد ءيسول
ولا بحكي د طاطسا سك ما تموت ءاعجو موح
ءاتاليغ ءيتاسين لقرطاس تسر ءبد سالكان.
صحا نم ءاعدجو كم خس —ءايبردن ءاوال.
توست لقرطاس ءاما س ن ءيفدا من ك بوكافر
ءايا — راو — يايت ء يسوغاي ن — نحاس ء يكزن ءاكال

[17] – شفيق (محمد) ، ن. م. س. ص 73

[18] – ويتجسد في هذه الأبيات الشعرية للناظمة عدجو-ءيشو :

ءانيغ ويليغ ءيتخلافن ءيسلهمن .
سرسنام ءا تازوكت ءاسينك ءاياكاتو.
تغول ءتساعيا ءاخريط ءام تالوبانين
ءاغولن ءايغدارن ءار لسان تيحنديرين

[19] –كنوي (احمد)، ن. م. س. ص .76.

[20] – فكما سبقت الإشارة إلى ذلك ، فهذه النصوص في نظرنا هي بمثابة الوثيقة المحلية الحاملة لنظرة ساكنة هذه المنـــاطق للأحـــداث ، فعند مقارنة أبيات القصيدة بما ورد مثلا في نص جورج سبيلمان حول عدد الضباط العسكريين الذين قتلوا في معركة 28 فبراير ســـنة 1933 نجد من ضمنهم. وهذا يزكي الى حد ما أعده ابن عدجو —موح من أن أمه استشهدت في معركة 28 فبراير 1933.

ت —موت ءاعدجو ن —زون كاغ– ء يفع ء يكمز ءافوس

شعرية القصيدة:

سأروي قصتك يا معركة بوكافر

سأحكي أحداثك وأحزانك كي لا تنسي

أقسم إن أفراحنا ومسراتنا قد اختفت

كما أقبرت ضحكتنا منذ استشهاد عدجو موح

يا من حملت السلاح وواجهت وقاتلت اللفيف السينغالي

بكل شجاعة واستماتة يستحيل وصفها

فأنت الوحيدة التي خففت من أحزاننا ومآسينا

بحملك للسلاح وسط خيرة شبابنا في بوكافر

أنعيك اليوم، وأنعي معك اصحاب السروج النحاسية

فباستشهادك أيتها المقاومة عد جو موح

أصبحنا كيد بدون إبهام

فهذه القصيدة التي خلفها لنا سيدي بادا أومسعود، عن المقاومة عدجو موح تلمشيت، تشكل في حد ذاتها " وثيقة "تاريخية، يمكننا اعتمادها، عند مناقشتنا للإسطغرافيا الاستعمارية، فقد أكد هنري بوردو HENRY BOURDEAUX، في كتابه الذي أصدره ثلاثة سنوات بعد نهاية المواجهة العسكرية بين المقاومة المسلحة والقوات الفرنسية حول "هنري دوبورنازيل[21] وتحدث فيه عن دور المرأة العطاوية في تلك المقاومة، حيث ذكر كيف كانت النساء" تتسللن بشجاعة خارقة إلى موارد الماء، تحت نيران رشاشاتنا، وتسقط أغلبهن، لكن الباقيات يواصلن أدوارهن البطولية، وتحمسن المقاتلين بالزغاريد المدوية، كما كن يوزعن الذخيرة والمؤونة،

[21] -Spillman (G)- Souvenir d'un colonialiste p.56.

ويأخذن مكان القتلى لتعويضهم، وفي غياب الأسلحة يدحرجن على المهاجمين من قواتنا أحجارا ضخمة تنشر الموت والذعر حتى قعر الوادي".[22]

فبالإضافة إلى حملها للسلاح وسط المقاومين إلى حين استشهادها، كانت عدجو موح تلعب دورا لا يقل أهمية عن درها الأول، والذي أكدته جميع القصائد التي وصلتنا عنها، وهو أنها كانت بحكم معرفتها لمسالك قمم بوكافر التي تتميز بصعوبتها ووعورة تضاريسها التي شبهها الكولونيل ماجور VIAL في إحدى كتاباته على أنها تشبه ظهر القنفذ " كانت تنزل " حتى قعر الوادي"، وتقوم بجمع " أكباد و أحشاء الماشية لطهيها،تلك الماشية التي قتل منها ثلاثة أرباعها، حسب الرواية الشفوية التي استقاها الطالب كنوي من المقاومين الذين عايشوا تلك الأحداث، و التي أكدها جورج سبيلمان عند وصفه لمعركة 28 فبراير 1933 "فقد أصدر الأمر لمتابعة الهجوم بكل ضراوة، وبسرعة فائقة، وذلك رغم أن هذا الهجوم المدعم بالقصف المدفعي والجوي سيؤدي إلى ارتفاع الخسائر ليس فقط بين المقاتلين العطاويين والماشية، وإنما أيضا، في صفوف النساء والأطفال"[23].

فقد أكد الشاعر سيدي بادا أومسعود، كل ما ورد عند HENRY BOURDEAUX و جورج سبيلمان وكذا الرواية الشفوية في ابيات هذه القصيدة، التي يسائل فيها قمم جبل بوكافر عن عدجو-موح، تلك القمم التي تعبر عن الشموخ والشهامة، والتي لم ترض في يوم من الأيام أن تداس كرامتها وشموخها من طرف الأجانب:

ايناسى وو رومي وو تاڭا عدجو-ت- موت
ءاتاوتات ن بوكافر ءايما نزا عدجو-موح؟
ءاتاوتات ليغ ء يطفن صاغرو س ووكونون
مانزا ما يدءي يتينين ءانبارك ك — ءالاس

[22] -Bordeaux (H)- op.cit.p.65.

[23] -Bordeaux (H)- Henri de Bournazel, Plon, Paris,1935.

مانزا ما يدءي يتنين ءانبارك ك – ءامان ما كياد تا –

فا غ ءاتاميمت ءادكغ ءالاسى

ماك م ياد تا فا غ ءاتاسا وولا – تيدوٌرين

فأبيات هذه القصيدة آيات من النظم، وهذا ما جعلها تجتاز كل عراقيل النسيان والتهميش واللا مبالاة حتى وصلتنا اليوم، فمعانيها صعبة المنال لمن يحاول فك رموزها، وذلك نظرا لما يتخللها من تلميح وتعريض. كما أن محاولة تعريبها، قد تفقدها تلك الشحنة التي حملها بها الشاعر سيدي بادا اومسعود، فقد كشف لنا عن جانب مهم من حياة المقاومة، الشهيدة عدجو-موح والذي يتجلى في إشرافها وتنظيمها لعملية تزويد المقاومين بالأكل:

مانزا ما يد ءي يتنين ءانبارك ك ء الاس

ففي هذا البيت يتساءل الشاعر عن لسان ءا نبارك (المكلف باعداد الطعام)، عمن سيطلب منه بعد استشهاد عدجو – موح تهيء وجبة الغذاء للمقاومين والمقاومات:

مانزا مايد ءي تينين ءانبارك ك – ءامان

يبدي حسرته وأسفه بل حزنه الشديد عن فقدان امرأة من طينة عدجو موح، التي كانت بمثابة الآمرة والناهية حتى فيما يتعلق بإعداد وجبة الشاي للمقاومين .

ماك م – ياد تافا غ ءا تاميميت داداكغ ءلاسى

فهذا البيت يبين ويؤرخ لنوع الأطعمة التي كان المقاومون العطاويون المحاصرين في بوكافر، لما يزيد عن أربعين يوما، يعتمدون عليها من ضمنها "العسل "تاميمت"، فهنا يتساءل الشاعر عن لسان - ءانبارك- عمن سيجلب له هذه المادة لتهيء الطعام للمقاومين بعد استشهاد عدجو – موح، و يزكي ما استقيناه من عدد من الروايات الشفوية، وهو كيف أن النساء كن يخرجن بالليل ويتسللن بين شعاب جبل بوكافر، بحثا عن أماكن تجمع النحل، وفي الصباح يرجعن محملات بأكياس مليئة بالعسل.

إلى جانب – تاميمت – أورد سيدي بدا أومسعود " تاسا – وتيدورين ".

مايك مياد تافغ ءاتاسا ؤولا –تيدورين

فهنا يتساءل دائما أنضام – على لسان معد الطعام – أين سيجد أو بالأحرى من سيجلب له أسقاط الماشية بعد استشهاد عدجو موح.

فكما سبقت الإشارة إلى ذلك، فقد كانت الماشية المورد الاقتصادي الهام في حياة آيت عطا، وهذا ما أكده هنري بودرو من كونهم حين محاصرتهم في كهوف بوكافر بمعية ماشيتهم "التي جنت وأخت في الصراخ حتى الموت، وبحكم غريزتها، فقد كانت حينما يشتد القصف، سواء الجوي أو البري منه، تهرب وتنزل مذعورة إلى قعر الوادي، حيث تقتنصها مدفعيتنا فكان المشوي هو الوجبة اليومية لقواتنا".[24]

أما المقاومات العطاويات، وعلى رأسهن عدجو موح، فكن يقمن، وبسرعة فائقة بشق بطون الأغنام و الماعز، واستخراج الأسقاط فقط "تاسا" أي الكبد/ وتيضورين القلب والرئة والكبد)، فإذا كان المشوي هو وجبة غذاء القوات الاستعمارية الفرنسية، فإن عدجو موح، كانت بدورها تقوم بجمع و جلب الأسقاط، هي ورفيقاتها رغم "مخاطرتهن بأنفسهن من أجل الوصول إلى مصدر و مورد الماء الوحيد وكن يثأبرن رغم عدد قتلاهن".[25]

فأبيات هذه القصيدة، بالإضافة إلى كونها شبهت عدجو – موح بتلك القلادة الذهبية التي رفعت صيت جبل صاغرو إلى الأعالي:

ءاتاوتات – ليغ ء يطفن صاغرو س –ءوو كونون

---

[24]- فقد ورد عند القبطانVIAL (Jean) Le Maroc héroïque, p.320 كيف "أن المدفعية لا تكف عن القصف ليل نهار، حيث يحول الحياة إلى جهنم داخل الكهوف، كما تجفل الماشية التي تتولى هاربة نازلة بحكم غريزتها في اتجار الوديان والآبار، فكان المشوي هي الوجبة اليومية، وكانت المدافع الرشاشة مصوبة تجاه نقط الماء لمنع تزويد المنشقين، وكانت النساء تخاطرن بأنفسهن من أجل الوصول الى العين الوحيدة وكن يثابرن رغم عدد قتلاهن".

[25] -Spillman(G), op.cit.143

والمتون الشعرية التي حافظت عليها الذاكرة عن المعارك، كشفت لنا، كذلك، عن عدد من المعطيات التاريخية، التي أوردها الضباط والمؤرخون الفرنسيون الذين عايشوا تلك الأحداث، ووصلت إلينا عبر مذكراتهم. و هو الذي أعطى، في نظرنا، للمصدر الأدبي، المتمثل في المتن الشعري، صفة المصدر المحلي لتاريخ البادية المغربية خلال فترة الحماية، وكما عبر عنه Henry BOURDEAUX من أنه "لو وقف أحد الرواة في ساحة جامع الفنا بمراكش بين المغنين والراقصين والرواة، ينشد ملحمة جبل صاغرو البربرية لالتف أفواج الناس حوله التفافا" [26].
فمحاولة كتابة "السيرة الذاتية للمقاومة عدجو موح[27] من خلال هذا المصدر، ليس شيئا جديدا في حد ذاته، فالمجتمعات التي لم تتمكن من تدوين ماضيها، وإرثها الحضاري من خلال النص المكتوب والمعروف، نظرا لاعتبارات عدة، لجأت إلى دراسة آدابها وفنونها ومعمارها، وعاداتها والى جميع مكونات رصيدها الثقافي المادي منه والفكري والروحي، قصد كتابة تاريخها وفهم ماضيها.

فالنصوص الشعرية التي تطرقت لحياة المقاومة عدجو موح تيلمشيت، تدخل في إطار "مجموعة التواريخ الممكنة" كما عبر عن ذلك بروديل، فالمؤرخ مدعو إلى اكتشاف هذه التواريخ الممكنة بما فيها تاريخ النساء، والانفتاح على التاريخ في تعدديته وتنوعه، في إعادة الاعتبار للنساء المقاومات، يؤول إلى السؤال عن تاريخ النساء، تاريخ يؤرخ لنضالاتها، سواء المسلح منه كالمقاومة عدجو –موح أو بكلمتها وقلمها وصمودها حتى الاستشهاد كالمناضلة سعيدة المنبهي)، ويترجم لتطلعاتها، ويعمل على تأويل للماضي على ضوء الحاضر وأسئلته، حتى نتمكن من كتابة تاريخ "النساء المغربيات وقضاياهن"، تاريخ متحرر من كل التمثلات الجاهزة ومنفلت من

---

[26] -Vial op .cit p.320

[27]- ففي أرشيف المندوبة السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، حينما تتم الإشارة إلى هذه المقاومة، فلم يخصص لها إلا سطر أو سطرين، وص: " ... وعدجو موح التي يضرب بها المثل في الجرأة والشجاعة، فقد قاتلت النصارى في معركة بوكافر سنة 1933 ببندقيتها الرشاشة وأسقطت الكثير من الجنود الفرنسيين وباستشهاد هذه البطلة حلت خسارة كبيرة بالمقاومين."

سلطة وهيمنة الموضوعات التقليدية، ومن إسقاطات الآخر وتأويلاته، فالتاريخ لا يعض، كما هو معلوم ولا يفهم من سرد الأحداث الايجابية أو السلبية، بل يجب تناوله ودراسته على أنه عمل بشري قابل للمد والتراجع بل وللانكسار، كما أن ذاكرة الشعوب تتحمل دائما مواطن الضعف، ومواطن القوة في تاريخها، وعلى نتائج هذه العملية التركيبية يتبين الايجابي والسلبي، وعلى هذا الأساس تبنى هويات الشعوب والأمم، ومن هنا يمكننا اعتبار "تاريخ النساء وقضاياهن"كأحد التواريخ الممكنة"، حتى لا يصنف تاريخهن "في إطار الأسطورة، ويوضع في خانة الأدب العجائبي و الأسطوري مثل "عيشة قنديشة"، فتاريخ النساء المقاومات لا تمكن كتابته إلا في إطار تاريخ النساء المقاومات والمناضلات والمقاولات والمبدعات ... بدون تمييز أو اقتصار على ما يسمى عادة بمشاهير النساء، أو بمعنى آخر إعادة قراءة مسار المرأة المغربية، أفقيا وعموديا، على ضوء تلك القراءة يمكننا تقييم مدى مساهمة النساء المغربيات كل من موقعها في "صناعة جزء من التاريخ السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي" للمغرب الذي نريده حدثيا ومسايرا للتحولات الراهنة والمستقبلية.